

الفصل الثاني

الاعتداءات على الحرمين الشريفين
في العصر الاسلامي

obeikan.com

لما بزغ نور الاسلام ، واندحرت أكبر قوتين
فى ذلك الوقت هما الفرس والروم ، وسطعت شمس
التوحيد شرقا وغربا كانت مكة المكرمة فى أعلى درجات
القداسة والتشريف وحلت قدسيتها فى قلب كل مسلم
خصوصا بعد أن أزال رسول الاسلام محمد بن عبد الله
عنها آثار الجاهلية ، وصار حرما خاصا بالمسلمين
ولاتطأ أرضه أقدام غيرهم وخلال عصر النبوة والخلافة
الراشدة لم تتعرض المدينتين المقدستين لاي عدوان
داخلى أو خارجى ، ولم يظهر ذلك الا بعد أن انشقت
وحدة الصف الاسلامى ، وظهرت بعض النزاعات التى
نالت من مكانة المسلمين ، واخرجت الخلافة من الحجاز ،
ونالت من مكانة مكة ووصل اذاها الى الحرمين الشريفين
وفيما يلى نعرض لذلك •

أولا : العدوان على الحرمين الشريفين فى العصر الأموى

سجلت أولى هذه المحاولات العدوانية عندما رفض
أهل الحجاز مبايعة يزيد بن معاوية على خلافة المسلمين،

وأعلنوا خلعهم فأرسل يزيد « قائده مسلم بن عقبة
المري » بجيش يتكون من اثني عشر ألفا ، ليذيق أهل
المدينة وأهل مكة كل ضروب الشر ، فحاصر المري المدينة،
وانتهك حرمتها — وهى التى حرّمها الرسول عليه السلام كما
حرم ابراهيم مكة (١) — وأوقع بأهلها وقعة الحرة
المشهوره (٢) ، وأباحها لجنده ثلاثة أيام يفعلون فيها
المنكر (٣) ، فاعتدوا على العذارى لدرجة قال عنها صاحب
النجوم الزاهرة أن جيش مسلم بن عقبة اقتض الف
عذراء (٤) كما تفتخر جند مسلم من السودان والزنج
بفعلتهم الشنعاء فقال شاعرهم :

(١) من حديث عبد الله بن زيد بن عاصم عن النبي صلى
الله عليه وسلم انه قال « أن ابراهيم حرم مكة ، ودعا لأهلها ،
وانى حربت المدينة كما حرم ابراهيم مكة ... »

رواه البخارى ومسلم .

(٢) محمد الخضرى : محاضرات تاريخ الأمم الاسلامية —
الدولة الأموية ج ١ القاهرة ، المكتبة التجارية ١٩٦٩ — ص ١٣٠ .
(٣) عز الدين بن الأثير : أسد الغابة فى معرفة الصحابة ،
المجلد الثالث ، القاهرة ، دار الشعب ص ٢٤٣ .

(٤) انظر جمال الدين أبى المحاسن : النجوم الزاهرة فى
ملوك مصر والقاهرة ج ١ القاهرة ، وزارة الثقافة والارشاد ،
ص ١٦٠ — ١٦٢ .

ويوم غمدان كنا الاسد قد علموا
ويوم يثرب كنا فحلة العرب

ويقصد الشاعر بيوم يثرب ، يوم الحرة أو الهجوم
على المدينة عام ٦٣ ، وفحلة العرب مفاخرة بالاعتداء على
نساء المدينة •

كما قال شاعر من شعراء مضر يؤكد الحادثة :

فسائل مسرف المري عنكم غداة أباح للجند العذارى

وهو يؤكد تسمية مسلم بمسرف ، ويؤكد كذلك أن
عدد السودان كان كثيرا^(٥) • وقتل جند الشام من الصحابة
والتابعين وأولادهم وأطفالهم ونسائهم آلاف مؤلفة^(٦)
وبعدها سعد المري الى المنبر ، وأخذ البيعة ليزيد •

وان الانسان ليعجب مما حدث ، فقد ارتكب جنود

(٥) هذا الحديث أورده الجاحظ في رسالته فضل السودان
على البيضان •

انظر رسائل الجاحظ د ١ — تحقيق عبد السلام هارون ،
القاهرة ، مكتبة الخانجي ص ١٩٦ — ٢٠١ •

(٦) لتفاصيل ذلك انظر النجوم الزاهرة د ١ ص ١٦١ —
١٦٢ وايضا : عطار : الكعبة والكسوة ص ١١١ •

يزيد جرما عظيما ، وتحملوا انتهاك حرمة المدينة مهبط
الوحي الالهي ، يضاف الى ذلك اسرافهم فى معاملة أهل
المدينة بطريقة مشينة بعد انتصارهم عليهم ، وابتاحتها لهم
ثلاثة أيام ^(٧) ، وكان من الواجب احتراماً لحرمة رسول
الله صلى الله عليه وسلم عدم اباحة ذلك .

وبعد الانتهاء من ذلك العمل المشين أمر يزيد بن معاوية
قائده بالتوجه الى مكة ^(٨) فاتجه القائد الاموى بعد
النشر الذى صبه على مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم
الى مكة ليقاتل ابن الزبير فاهلكه الله فى الطريق ^(٩) فاستخلف
« الحسين بن نمير السكونى » على قيادة الجيش ، فصار
الحسين الى مكة فى المحرم من عام ٦٤ هـ وحاصر ابن الزبير
فى الكعبة ونصب المجانيق ^(١٠) حولها فى الثالث من ربيع
الأول من نفس العام ، ثم رمى الكعبة بالنفط والحجارة

(٧) كانت تعليمات يزيد لقائده « ابجها ثلاثا فكل ما فيها
من مال أو دابة أو سلاح أو طعام فهو للجند » محمد الخضرى :
المرجع السابق ج ١ ص ١٣١ .

(٨) محمد مليبارى : المنتقى فى أخبار أم القرى ، مكة
المكرمة مطابع الصفاء ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م ص ٤٢ .
(٩) ابن الأثير : المصدر السابق ص ٢٤٣ .
(١٠) المجانيق جمع منجنيق وهو مثل المدفع الآن .

حتى احترقت كسوتها ونصدعت جدرانها (١١) واحترق فيها قرن الكبش الذى فدى به اسماعيل بن ابراهيم الخليل عليهما السلام (١٢) .

وبينما كانت رحى القتال دائرة وصلت الاخبار بوفاة يزيد فى الرابع عشر من ربيع الأول ٦٤ هـ ونتيجة لذلك توقف الحصين عن القتال ودعا ابن الزبير الى المسالمة والخروج معه الى بلاد الشام لمبايعته ، ولكن ابن الزبير لم يجبه الى طلبه (١٣) واستمر القتال بينهما مدة وبعدها فك الحصين الحصار ورجع الى الشام ، واستتب الامر لابن الزبير فى مكة وبايعه الناس فيها وفى المدينة وغيرها (١٤) .

وإذا عدنا لنسال هل كان جيش الشام يقصد حرق الكعبة التى يستقبلها المسلمون فى صلاتهم خمس مرات يومياً ؟

(١١) السباعى : تاريخ مكة ص ٩٥ .

(١٢) ابن الاثير : المصدر السابق ج ٣ ص ٢٤٣ .

(١٣) عن تفاصيل ذلك انظر : الخضرى : المرجع السابق

ج ٢ ص ١٣٥ .

(١٤) السباعى : المرجع السابق ص ٩٧ .

الواقع أن الزبيريين والامويين تبادلوا الاتهامات حول مسؤولية ما أصاب بيت الله الحرام واختلف المؤرخون فيمن تقع عليه مسؤولية ذلك فمنهم من يقول أن ابن الزبير قد ضرب فسطاطا في ناحية المسجد فكلما جرح أحد من أصحابه أدخله الفسطاط ، فوضع رجل من أهل الشام شمعة في طرف رمح ، ثم ضرب فرسه حتى طعن الفسطاط فالتهب نارا (١٥) امتدت شرارتها على الكعبة فاحترقت ، وتساقطت أستارها على الأرض (١٦) ومنهم من يقول أن ابن الزبير اتخذ من المسجد حصنا فكانت فيه الفساطيط والخيام (١٧) وأن نفرا من أصحاب ابن الزبير أشعل النار في خيام كانت بين الحجر الأسود والركن اليماني مما يلي الصفا ، وكانت الريح شديدة فعلقت النار بالكعبة فاحترقت وتصعدت (١٨) .

(١٥) محمد مليباري : المرجع السابق ص ٤٣ .

(١٦) محمد عبد الله الدينوري : الامامة والسياسة د ٢

تحقيق طه الزينى ، بيروت ، دار المعرفة د. ت ص ١١ .

(١٧) تاريخ خليفة بن خياط ، تحقيق د. أكرم العمرى ،

الرياض ، دار طيبة الطبعة الثانية ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م ص ٢٥٢ .

(١٨) محمد صالح الحجبي : اعلام الأئمة بتاريخ بيت الله

الحرام ص ١٤٧ .

ومنهم من يقول ان الكعبة احترقت نتيجة لرمي جند يزيد لها بالنفط والحجارة (١٩) فتهدمت أجزاء كبيرة منها ، ثم امتدت اليها السنة اللهب فحترقت أجزاء أخرى منها (٢٠) .

ومنهم من يقول أنه ما كان يجب على ابن الزبير أن يتحصن بالكعبة حتى لا يعرضها لضربات المهاجمين • وهكذا اذاع الأمويون أن ابن الزبير هو المسؤول عما أصاب الكعبة على حين ألقى ابن الزبير وأنصاره التبعة على الامويين والحقيقة أن ما حدث يعتبر مأساة مروعة وهي أن يتقاتل المسلمون في أشرف بقعة من الارض حرم الله فيها القتال، وجعلها حرما آمنا ، وانه كان على الطرفين أن يلتجأوا الى كتاب الله فهو خير حكم بينهما أو يبتعدوا عن الحرم، ويتقاتلوا بعيدا عنه حتى تحسم الامور بينهما • ومع كل ذلك فنحن نتفق مع القول الذي يرى أن الكعبة لم تكن مقصودة بالرمي خصوصا وان جيش الشام كان يستقبلها في صلاته مثل باقي المسلمين بل يمكن القول ان ابن الزبير

(١٩) السباعي : المرجع السابق ص ٩٥ .

(٢٠) الخربوطلى : تاريخ الكعبة ص ١٥٨ .

لما احتفى بها حاول جنود يزيد اصابته من ورائها فنالت
القذائف بعض أركانها (٢١) .

وقد ترك ابن الزبير الكعبة على حالها حتى قدم
الناس للحج حتى يريهم ما فعله جند يزيد ببیت الله
الحرام (٢٢) وبعدها بادر بازالة الاحجار التى ألقیت على
الكعبة ، وأمر بهدم البناء فى عام ٦٥ هـ (٢٣) . واعادته
من جديد ، بعد أن مال جدار الكعبة من رمى المنجنیق ،
فهدم ابن الزبير الجدار حتى وصل الى أساس ابراهيم
عليه السلام وبنائها على ما كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم يريد أن يبنیها (٢٤) وادخل فيها الحجر الاسود (٢٥)
وكان السبب فى ادخاله الحجر ضمن البيت ما روته أمه
أسماء عن عائشة رضى الله عنها أن النبى صلى الله عليه
وسلم قال لها : « لولا قومك حديثو عهد بكفر لنقضت

(٢١) السباعى : المرجع السابق ص ٩٥ .

(٢٢) محمد صالح الحجبى : اعلام الأنام بتاريخ بيت الله

الحرام ص ١٤١ .

(٢٣) السيد أبو الفضل عوض الله ، مكة فى عصر ما قبل

الاسلام ، الرياض دار الملك عبد العزيز ، الطبعة الثانية ١٤٠١ هـ

ص ١٢٠ .

(٢٤) ابن كثير : المصدر السابق ج ٨ ص ٢٥٠ .

(٢٥) ابن الأثير : المصدر السابق ص ٢٤٤ .

الكعبة وجعلتها على قواعد اسماعيل ، وجعلت لها بابين (٢٦) ، ومن هنا قام ابن الزبير بتنفيذ ما كان يرغبه الرسول عليه السلام من بناء للكعبة ولما استقر الامر لعبد الملك بن مروان في العراق ، والشام ومصر ولم يبق في يد ابن الزبير الا الحجاز جهز حملة الى مكة في عام ٧٢ هـ بقيادة الحجاج ابن يوسف الثقفي لقتال ابن الزبير .

وقدم الحجاج بجيشه الى مكة ، ودارت الحرب بينه وبين ابن الزبير ، وحوصرت مكة ، والتجأ ابن الزبير الى المسجد الحرام ، ودامت الحرب سجالا (٢٧) لفترة ، وقد حج الحجاج بالناس في هذه السنة ، ومكة محصورة ، ولا سبيل للحجاج اليها ، ولما وافى يوم عرفات وقف الحجاج ملييا وهو على فرسه وعليه الدرع (٢٨) ومعه أفراد جيشه ثم ازدلف مع الحجيج الى المزدلفة ومنى ، ولم يستطيعوا دخول مكة لاتمام مناسكهم فبقوا في احرامهم (٢٩) . في حين

(٢٦) الخضرى : المرجع السابق د ١ ص ١٦١ .

(٢٧) ابو الفضل البيهقى : تاريخ البيهقى — ترجمة يحيى الخشاب وصادق نشأت ، بيروت ، دار النهضة العربية ١٩٨٢ ص ٢٠٢ .

(٢٨) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك د ٦ ص ١٧٥ .

(٢٩) السبائى : المرجع السابق ص ١٠٢ .

لم يستطع ابن الزبير وأصحابه الحج فى ذلك العام لانهم لم يقنوا بعرفة (٣٠) .

وشدد الحجاج الحصار على مكة ، ونصب المنجنيق على جبل أبى قبيس ، وكان يرمى به ابن الزبير ومن معه فى المسجد (٣١) فكانت الأحجار تنهال على الكعبة وتقع على جدارها (٣٢) ثم ضيق الخناق على ابن الزبير وحاصر الكعبة بجيشه فعبا « أهل حمص فى مقابل الكعبة ، ورجال دمشق تجاه باب بنى شيبه ، وجند الأردن ازاء باب الصفا .. ووقف الحجاج مع طارق بن عمرو ومعظم الجيش فى موضع المروة حيث نصبوا الراية الكبرى » (٣٣) .

ونظرا لهول ما حدث من اعتداء على البيت الحرام ، وترويع للحجيج بعث عبد الله بن عمر بن الخطاب الى الحجاج الثقفى ينهاه عن قذف الكعبة بالأحجار ومحاصرتها بقوله : « اتق الله واكفف هذه الحجارة عن الناس ، فانك فى شهر حرام ، وبلاد حرام ، وقد قدمت وفود الله من أقطار الأرض ليؤدوا فريضة الله ويزدادوا خيرا وان المنجنيق قد

(٣٠) الطبرى : المصدر السابق ح ٦ ص ١٧٤ .

(٣١) ملبيارى : المنتقى فى أخبار أم القرى ص ٤٤ .

(٣٢) السباعى : المرجع السابق ص ١٠٣ .

(٣٣) البيهقى : المصدر السابق ص ٢٠٤ .

منعهم من الطواف ، فاكف عن الرمي حتى يقضوا ما يجب عليهم بمكة » (٣٤) .

ونتيجة لنأزم موقف ابن الزبير تركه انصاره وتفرقوا عنه وانضم بعضهم الى صفوف الحجاج (٣٥) ولما ضاق الامر بابن الزبير كف عن القتال (٣٦) بعد أن نفرق أصحابه عنه وخرجوا بالامان الى الحجاج ولما رأى ابن الزبير انه لم يبق معه الا قليل من الانصار لا يغنون عنه شيئاً دخل على أمه اسماء بنت أبي بكر فقال يا أماه خذلني الناس حتى ولدي وأهلي ولم يبق الا الميسير ومن ليس عنده أكثر من صبر ساعة والقوم يعطونني ما أردت من الدنيا فما رأيك فقالت أنت أعلم بنفسك انك على حق واليه تدعو فامض له ، فقد قتل عليه أصحابك ، ولا تمكن من رقبتك يلعب بها غلمان بنى أمية ، وان كنت أردت الدنيا فبئس العبد أنت أهلكت نفسك ، ومن قتل معك وان كنت على حق فلما أوهن أصحابك ضعفت فهذا ليس فعل الأحرار ولا أهل الدين كم خلودك في الدنيا ؟ القتل احسن ! فقال : يا أماه أخاف

-
- (٣٤) الخربوطلى : تاريخ الكعبة : ص ١٦٥ .
(٣٥) ضرار صالح ضرار : العرب من معين الى الامويين بيروت ، مكتبة الحياة ، الطبعة الرابعة ص ١٢٦ .
(٣٦) البيهقي : المصدر السابق ص ٢٠٢ .

ان قتلنى أهل الشام أن يمثلوا بى ويصلبونى • قالت :
يابنى ان الشاة لا نتألم بالسليخ بعد ذبحها فامض على
يصيرتك واستعن بالله فقبل رأسها وقال هذا رأىى والذى
خرجت به دائباً الى يومى هذا ما ركنت الى الدنيا ، ولا
أجبت الحياة فيها مادعانى للخروج الا الغضب لله وأن
تستحل حرماته ولكنى اجبت أن أعرف رأيك ثم خرج فقاتل
حتى قتل فى عام ٥٧٣ هـ : وبعد القتل صلبت جثته (٣٧) ، وانتهى
الامر باستيلاء الحجاج على مقدرات الامور فى مكة ،
واستقر الامر لعبد الملك بن مروان فى جميع البلدان الاسلامية
وبعدها نقض الحجاج بنيان ابن الزبير للكعبة واعادها الى
بنائها فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم (٣٨) واخرج الحجر
الاسود منها (٣٩) بعد مشاورة عبد الملك بن مروان فى
الأمر • وذلك أنفة أن يبقى هذا الشرف وهذه المكرمة
لابن الزبير (٤٠) •

(٣٧) الخضرى : المرجع السابق د ٢ ص ١٤٢ — ١٤٣ •

(٣٨) ابن قتيبة : المعارف ، القاهرة ، دار المعارف ،
الطبعة الرابعة ١٩٨١ ص ٣٥٦ •

(٣٩) ابن الأثير : أسد الغابة ص ٢٤٤ •

(٤٠) ابن العماد الحنبلى : المصدر السابق د ١ ص ٧٩ •

وهكذا أدى التنازع بين ابن الزبير والامويين الى قيام الحجاج وجنوده مع كل اسف بارتكاب كبائر واخطاء يصعب على المسلمين نسيانها ، فكيف يرمى الحجاج قبلته التى يصلى اليها انها حصى الحرب وثورة الاعصاب^(٤١) .

وكيف ينقض الحجاج بناء ابن الزبير للكعبة مع أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد ارادها على هذا البنيان .
انها الخصومة الشديدة التى جعلت الحجاج لا يفكر الا فى الانتقام من غريمه ومحو كل أثر له .

وكما أن بيت الله الحرام وحرم رسوله الامين لم يسلموا من العدوان خلال النزاع بين الزبيريين والامويين فانهما لم يسلموا أيضا خلال مقاتلة الخوارج للامويين فقد هاجم أبو حمزة المختار بن عوف الخارجى مكة فى ذى الحجة من عام ١٢٩ هـ فى جيش كثيف لم يستطيع عبد الواحد ابن سليمان بن عبد الملك بن مروان أمير مكة صدده ففر الى المدينة تاركا أبا حمزة يعبث بمكة ويستولى على مقدرات أمورها ، ويدعو أهلها الى الخروج على طاعة الامويين^(٤٢) .

(٤١) السباعى : المرجع السابق ص ١٠٣ .

(٤٢) جمال الدين أبى المحاسن : النجوم الزاهرة ج ١

وبعد أن استقرت الأمور لابن حمزة بمكة زحف بجيشه على المدينة فى صفر من عام ١٣٠ هـ وقتل من أهلها خلقا كثيرا ، ثم خطب على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فوبخ أهل المدينة ، ودعاهم الى الخروج على طاعة الخليفة الاموى مروان بن محمد ، وحذرهم من تحدى أوامره (٤٣) .

وقد أرسل اليه الخليفة مروان جيشا هزمه واستعاد منه المدينة ، ثم حصره فى مكة حتى قتل وهزم أصحابه وأعيدت مكة وجنوب بلاد العرب الى حكم الامويين (٤٤) .

ثانيا : العدوان على الحرمین الشريفین فى العصر العباسى :

ويعد أن انتقلت الخلافة الى بغداد أصيب العالم الاسلامى بمحنة ظهور الفرق التى انتهت قوى الامة الاسلامية وفتنت فى عضدها ، وكان على رأس هذه الفرق

(٤٣) ابن كثير : المصدر السابق ج ١٠ ، ص ٣٥ .

(٤٤) للتفاصيل انظر . جمال الدين أبى المحاسن : المصدر السابق ج ١ ص ٣١١ .

الضالة « القرامطة »^(٤٥) الذين خرجوا عن سلطان الدولة وأعلنوا العصيان على الخلافة وشقوا عصا الطاعة ، وقاوموا جيوش الخليفة واستطاعوا هزيمتها وكان للقرامطة سلطان على البحرين والقطيف والاحساء والطائف وغيرها وعندما تولى أمر قرامطة البحرين أبو طاهر سليمان ابن ابي سعيد الجنابي بدأ بالتعرض للحجاج سنة احدى عشر وثلاثمائة فنهب قوافل الحجاج من أهل بغداد والشرق ، وأخذ جمالهم ، وما أراد من أمتعتهم وأموالهم وصبيانهم وعاد الى هجر^(٤٦) ، تاركا الحجاج فى مواضعهم يموت

(٤٥) ينسب القرامطة الى رجل من الباطنية مجوسى العقيدة تظاهر بالاسلام اسمه حسين الأهوازي ، وقد تقابل هذا الرجل فى الكوفة بحمدان بن الأشعث (قرمط) وتحالفا معا على الشر ، وقد ظهرت هذه الطائفة فى أيام المقتدر العباسى وهم قوم ينسبون الى موالاة محمد بن الحنفية ، وأبرز من ظهر منهم أبو طاهر القرمطى الذى بنى دارا فى هجر سماها دار الهجرة وأراد أن ينقل الحج اليها وهذه الحركة استمدت عقائدها ومبادئها وتنظيماتها السرية من الحركة الاسماعيلية .

مصطفى غالب : الحركات الباطنية فى الاسلام ، بيروت ، دار الكتاب العربى ، د . ت ص ١٣١ وأحمد شلبى حركات فارسية مدمرة ص ١٤٢ .

(٤٦) اسم هجر كان يطلق على الاحساء واحيانا على بلاد البحرين .

أكثرهم جوعا وعطشا ومن حر الشمس (٤٧) .

وتوالفت هجمات القرامطة على الحجاج فى السنوات التالية خصوصا بعد استيلائهم على الكوفة فى عام ٣١٢هـ، وقطعهم لطريق القوافل الى مكة ، مما أدى الى احجام معظم الناس عن الحج فى تلك السنة .

وفى سنة سبع عشرة وثلاثمائة هاجم قرامطة البحرين مكة المكرمة فى يوم التروية بقيادة أبو طاهر الجنابى .
فى الوقت الذى اجتمع الحجاج فيه من كل مكان استعدادا لاداء فريضة الحج (٤٨) ، وكان المسجد والمطاف غاصا بالمصلين والطائفين (٤٩) دخل أبو طاهر القرمطى وجنوده يخيلهم وسلاحهم الى المسجد الحرام (٥٠) واغمدوا السيوف فى رقاب الحجاج ، ونهبوا أموالهم واستحلوا حرمة البيت الحرام « وركض أبو طاهر القرمطى عند الكعبة بسيفه مشهورا قتل وهو سكران وصفر لفرسه عند

(٤٧) مؤتمر قدسية الحرمين الشريفين : مقال لمحمد السعيد تحت عنوان القرامطة ص ٢٧ .

(٤٨) عماد الدين أبى الفداء : المختصر فى أخبار البشر ، بيروت دار المعرفة ص ٧٤ .

(٤٩) وتموت الفتنة ص ٣٤ .

(٥٠) زبنى دحلان : خلاصة الكلام ص ١٢ .

البيت الشريف فبال وراث « (٥١) ثم جلس على باب الكعبة يقول « أنا بالله وبالله أنا ، يخلق أنخلق وأفنيهم أنا » وكان الحجاج يفرون من أمامه ويتعلقون بأستار الكعبة ومع ذلك كانوا يقتنون وهم كذلك (٥٢) وتسيل دماء الالاف منهم فى المطاف بين الكعبة وفى رحاب المسجد الحرام (٥٣) وهو يصيح فيهم « يا حمير أنتم تقولون ومن دخله كان امنا أين الأمان وقد فعلنا ما فعلناه » (٥٤) وأخذ ينتقل من مكان الى آخر وهو يدعو اصحابه : أن اجهزوا على الكفار وعبدة الاحجار ، ودكوا أركان الكعبة ، واقتلعوا الحجر الاسود حتى لا يبقى له أثر (٥٥) .

وبعد أن قتل القرمطى ما بين عشرين وثلاثين ألف حاج أمر بأن يدفن القتلى فى بئر زمزم ، حتى امتلات بجثث القتلى ، ودفن كثيرا منهم فى أماكنهم من الحرم ، دون أن يغسلوا أو يكفنوا ولم يصل عليهم (٥٦) .

-
- (٥١) دحلان : المرجع السابق ص ١٤ .
(٥٢) ابن كثير : المصدر السابق ح ١١ ص ١٦٠ .
(٥٣) عطار : الكعبة والكسوة ص ١١١ .
(٥٤) دحلان : المرجع السابق ص ١٣ .
(٥٥) د. محمد الخطيب : الحركات الباطنية فى العالم الإسلامى عمان ، مكتبة الأقصر ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م ص ١٥٢ .
(٥٦) ابن كثير : المصدر السابق ص ١٦٠ .

وقلع القرطى باب الكعبة ، وسلب كسوتها ووزعها بين أصحابه ، وهدم قبة زمزم وأمر بعض رجاله بقلع الحجر الاسود فضربه بعضهم بدبوس فكسره (٥٧) ولما قام بحمله حاول أحد الحجيج منعه فضربه بمثقل فى يده ، وقال أين الطير الابابيل ؟ أين الحجارة من سجيل ؟ (٥٨) وأراد القرمطى قلع ميزاب الكعبة (٥٩) وكان من ذهب فاطلع قرمطيا على الكعبة لقلعه فأصيب بسهم من جبل أبى قبيس وخر ميتا ، وأمر آخر مكانه فسقط ، فتركه أبو طاهر رغم أنفه (٦٠) وأخذ القرمطى خزانة الكعبة وحليها وما كان فيها من الاموال ، ثم استدار مع رجاله على أهل مكة وقتل العديد منهم ، كما سبى العديد من النساء والصبيان (٦١) ونهبوا كل ما وقع تحت ايديهم .

(٥٧) المالكي المكي : شفاء الغرام ص ١٩٣ .

(٥٨) ابن كثير : المصدر السابق د ١١ ص ١٧١ .

(٥٩) ميزاب الكعبة فى وسط جدارها الذى يلى الحجر — بكسر الحاء — بين الركن الشمالى ، والركن المغربى ، ويسكب فى بطن حجر اسماعيل وطول الميزاب أربعة أذرع ، وهو ملبس بصفائح الذهب من الداخل والخارج منذ عهد الخليفة الأموى الوليد بن عبد الملك انظر : الزيلعى : مكة وعلاقاتها الخارجية ص ١٢٦ .

(٦٠) دحلان : المرجع السابق ص ١٣ .

(٦١) د. محمد الخطيب : الحركات الباطنية فى العالم

الاسلامى ص ١٥٢ .

وأقام القرمطى بمكة ستة أيام ، وقيل أحد عشر يوماً ثم غادرها الى هجر ومعه الحجر الأسود بغرض أن يحول الحج الى مسجد الضرار الذى سماه دار الهجرة^(٦٢) وقد تبعه أمير مكة وجنده وتشفع اليه أن يرد الحجر الاسود ليضعه فى مكانه ، وبذل له جميع ما عنده من الاموال فلم يلتفت اليه ، مما اضطر أمير مكة الى قتاله فقتله القرمطى^(٦٣) واستمر الحجر الاسود عند القرامطة اثنين وعشرين عاما ، يستجلبون به الناس طمعا أن يتحول الحج الى بلادهم وبقي موضع الحجر الاسود فى البيت الحرام خاليا يضع الناس أيديهم فى مكانه^(٦٤) .

وهكذا يتضح لنا أن موقف القرامطة من الحجيج أمر مثير للدهشة والاستغراب ، كما أن موقفهم من الحجر الأسود ونقله الى البحرين أمر يثير الحيرة والتعجب .

وعن موقفهم من الحجيج فيذكر أحد الباحثين أن اعتراض القرامطة للحجيج ، ومنعهم من الحج وقتلهم شئ محيب لهم لان شعائر الحج كما يزعمون من شعائر

(٦٢) دحلان : المرجع السابق ص ١٤ .

(٦٣) ابن كثير : المرجع السابق ص ١١ ص ١٦١ .

(٦٤) دحلان : المرجع السابق ص ١٤ .

الجاهلية ، ومن قبيل عبادة الاصنام ومن هنا كان موقفهم
الذى تقشعر منه الابدان معهم (٦٥) .

وبالنسبة لانتزاعهم للحجر الاسود ونقله الى البحرين
فيقول الرحالة الاسماعيلي ناصر حسرو ان السبب في
ذلك يرجع الى انهم « زعموا أن الحجر مغناطيس يجذب
الناس اليه من أطراف العالم » ثم يعترف بفشل القرامطة
في جذب الناس اليهم بعد انتزاعهم الحجر الاسود فيقول
« لقد لبث الحجر الاسود في الحساء سنين عديدة . ولم
يذهب اليه أحد » (٦٧) .

ومعنى ذلك أن القرامطة ارادوا أن يصرفوا الحج عن
مكة الى بلادهم ، وتوقعوا أنهم يستطيعون ذلك اذا تمكثوا
من نقل الحجر الاسود الذى يجعل قلوب الناس تهفو
الى مكة .

والغريب فى الأمر أن العالم الاسلامى لم ينهض لهذا

(٦٥) محمد أحمد الخطيب : الحركات الباطنية فى العالم
الاسلامى ص ١٥٢ .

(٦٦) مؤتمر قدسية الحرمين : مقال تحت عنوان القرامطة
لمحمد سعيد جمال الدين ص ٧١ .
(٦٧) نفس المرجع ص ٣١ .

الحادث الجلل لما كان يعتروه من الضعف وتفارق قواه ،
وانشغال الخلفاء العباسيين بتأمين مواقفهم الداخلية ،
مما جعلهم لا يهتمون بتأمين الطرق الى الحجاز ودعم الأمن
فى الحرمين وقد حاول عدد من ملوك الاسلام أن يستردده بأى
مبلغ من المال يحدده القرامطة ، فبذل لهم الأمير « بجكم »
التبركى خمسين ألف دينار على أن يردوه الى موضعه فلم
يقبلوا ، وقالوا نحن أخذناه بأمر فلا نرده الا بأمر ،
وكانوا قد حملوا الحجر الأسود الى الكوفة وعلقوه على
الاسطوانة السابعة من جامعها ليراه الناس (٦٨) .

ولما بعث القرمطى الى الامام الاسماعيلى والخليفة
الفاطمى عبيد الله المهدي يبلغه بما أحدثه فى بيت الله
الحرام ، كتب اليه الخليفة الفاطمى رسالة ملؤها الوعيد
واللعنة بقوله « ان أعجب العجب ارسالك بكتبك الينا ههنا
بما ارتكبت فى بلد الله الحرام الذى لم يزل محترما فى
الجاهلية والاسلام ، وسفكت فيه دماء المسلمين ، وفتكت
بالحجاج والمعتمرين وتعديت وتجرات على بيت
الله تعالى وقلعت الحجر الأسود الذى هو يمين الله فى
الأرض ورجوت أن أشركك على ذلك فلعنك الله ثم لعنك
الله والسلام على من سلم المسلمون من لسانه ويده وفعل

(٦٨) ابن كثير : المصدر السابق ج ١١ ص ٢٢٣ .

فى يومه ما فعله فى حساب غده» (٦٩) •

كما أنكر عليه سوء فعلته وما جلبه عليهم من غضب المسلمين بقوله «حققت على شيعتنا ودعاة دولتنا اسم الكفر والالحاد بما فعلت ، ثم هدده بقوله :

«ومتى لم ترد على أهل مكة ما أخذت ، وتعد الحجر الأسود الى مكانه ، وتعد كسوة الكعبة فأنا برىء منك فى الدنيا والآخرة» (٧٠) فلما وصلت هذه الرسالة الى القرمطى أعاد الحجر الأسود الى مكانه فى عام ٣٣٩هـ (٧١) خصوصا وأن القرامطة قد يئسوا من تحويل الحج الى بلادهم (٧٢) •

ولعل رسالة الخليفة الفاطمى الى القرمطى قد صيغت بأسلوب شيعى الهدف منه امتصاص غضب العالم الاسلامى من ناحية واظهار القرامطة فى صورة القادر على سلب الحجر الأسود وأخذه الى هجر دون أن يستطيع أحد من العباسيين أو غيرهم أن يسترده منهم ، ثم ييقوه أعواما فى بلادهم

(٦٩) ابن خلدون : العبر وديوان المتبدا والخبر ح ٤ ،

بيروت ، ١٩٧١ ص ٨٩ •

(٧٠) مؤتمر قدسية الحرمين : مقال القرامطة السابق الذكر

(٧١) مصطفى غالب : الحركات الباطنية فى الاسلام ، بيروت

دار الكاتب العربى ، د.ت ص ١٥٣ •

(٧٢) دحلان : مرجع سابق ص ١٤ •

ويعيدوه بأمر من الخليفة الفاطمي الزعيم الروحي للشيعة في ذلك الوقت مما يوحي أن سلطان الفاطميين كان أقوى من سلطان العباسيين ، وان هجوم القرامطة كان من شأنه اضعاف هيبة الخلافة العباسية ويدل على عدم قدرتها على حماية الحج •

ومعنى ذلك أن الحركة القرمطية كانت تنطلق مع الاسماعيلية وتستمد تنظيماتها منها ، وان أبا طاهر القرمطي كان يتلقى أوامره وارشاداته من الفاطميين وينفذها بكل دقة مما يفصح النية المبيتة من قبل الشيعة تجاه ركن أساسى من أركان الاسلام ألا وهو الحج •

ومع ذلك فقد رفض الخليفة الفاطمي أن تأتى سيدهته على الحجاز بهذا الطريق الدموى ومن ثم ندد بأعمال القرامطة ، وأمرهم باعادة الحجر الأسود الى مكانه (٧٢) •

وهكذا كان اقتلاع القرامطة للحجر الأسود وانتهاكهم لحرمة الكعبة ، وعدوانهم على حجيج بيت الله الحرام وقتلتهم فاجعة كبرى حاقت بالاسلام والمسلمين مما ضاعف

(٧٣) سليمان مالكي : بلاد الحجاز منذ بداية عهد الأشراف حتى سقوط الخلافة العباسية في بغداد ، الرياض ، دار الملك عبد العزيز ١٤٠٣ هـ ص ٢٩ •

من كراهية الناس للقرامطة ، وأكد انحرافهم عن الاسلام ومحاولاتهم لتدميره وتعطيل ركن من أركانه ، ثم أخزاهم الله بالذكر السيء من الآخرين فما أن يذكر القرامطة حتى يتبرأ المسلمون في كل مكان وزمان منهم أيما براءة (٧٤) .

ولم يقتصر أمر هؤلاء على إيذاء المسلمين في مشاعرهم باعتدائهم على المسجد الحرام وزواره بل وصل بهم الأمر الى التفكير في التهجيم على الحجرة النبوية الشريفة ونقل النبي صلى الله عليه وسلم وصاحبيه من المدينة الى مصر وموضوع ذلك أنه لما زين بعض الزنادقة للحاكم بأمر الله الفاطمي هذه الفكرة الخبيثة بعث مندوباً له لتبشir الموضوع الشريف ، فلما وصل هذا المندوب الى المدينة ، وعلم الناس بنواياهم هاجوا وماجوا وكادوا يقتلون مندوب الحاكم ومن معه من الجند (٧٥) ، لكنهم لاذوا بالفرار والى جانب ذلك فهناك محاولات من الروافض لالساءة الى الاسلام والمسلمين والتي كان أهمها محاولة نقل الشيخين من الحجرة الشريفة ومما يذكر عن هذا الموضوع أن قوم من أهل حلب جاءوا

(٧٤) د. عبد الله التركي مقال في مؤتمر قدسية الحرمين

الشريفيين تحت عنوان « قدسية الحرمين » ص ٩ .

(٧٥) حمد الجاسر : رسائل في تاريخ المدينة ، الرياض

دار اليمامة ١٤٩٢هـ ص ١٣١ - ١٣٢ .

الى المدينة وبذلوا أموالا كثيرة لأمرها حتى يمكنهم من فتح
الحجرة الشريفة ، واخراج أبى بكر وعمر رضى الله عنهما
منها فأجابهم الى طلبهم وأمر الحراس بفتح أبواب المسجد
النبوى لهم بعد خروج الناس من صلاة العشاء وتمكينهم
ما يريدون ، ولما دخل هؤلاء الى المسجد بالشموع وآلات
الهدم والحفر وقصدوا الحجرة الشريفة أنقذ الله سبحانه
وتعالى حرمة مسجد نبيه الكريم فابتلعت الأرض هؤلاء البغاة
جميعهم بجميع ما معهم من الآلات والشموع ولم يبق لهم
أثر (٧٦) .

ولم تتوقف أمر الاعتداءات على مقدسات المسلمين عند
هذا الحد بل تكررت فى مناسبات عديدة نذكر منها :

١ — تظاهر رجل رومى بالاسلام ودخل مكة فى عام
٥٣٦٣ هـ ، وطاف بالكعبة ثم انقض بمعول كان معه على الحجر
الأسود فضره ضربة قوية ، ولما حاول تكرار ذلك ابتدره
أحد الطائفين بخنجر^(٧٧) ثم أسرع اليه من كان بالمسجد الحرام
من معتمرين وزائرين ، وأمسكوا به وأخرجوه من المسجد ،
ولما تم استجوابه اعترف بأنه كلف بهذا العمل نظير مال

(٧٦) حمد الجاسر : المرجع السابق ص ١٥٢ .

(٧٧) الزيلعى : مكة وعلاقاتها الخارجية ص ١٢٧ .

كثير أخذه من باعثيه ، فجمع له حطب احرق بالنار جزاء عدوانه (٧٨) .

٢ — فى عام ٤١٣ هـ تعرض الحجر الأسود لحادثة مماثلة حيث قام رجل من الباطنية ممن استغواهم الحاكم بأمر الله ف ضرب الحجر الأسود بدبوس ثلاث مرات (٧٩) حتى خدش وجه الحجر من تلك الضربات وتساقطت منه بعض أجزائه (٨٠) وقال الى متى يعبد الحجر ... أفيمنعنى محمد مما أفعله فانى اليوم أهدم هذا البيت فانتقاه أكثر الحاضرين ، وكان يقف على باب المسجد عشرة فوارس لنصرته ، ولكن رجلا من أهل اليمن غافله وطعنه بخنجر ثم تكاثر عليه الناس وأهلكوه (٨١) وأحرقوه ، وقتلوا من قاموا بمساعدته ، وقد جمعت بقايا الحجر المتناثرة ، وعجت بالمسك واللك ، وحشيت الشقوق وطلبت (٨٢) حتى أصبح الحجر الأسود أكثر تماسكا .

٣ — امتدت الصراعات بين اشراف مكة على السلطة

-
- (٧٨) عطار : الكعبة والكسوة ص ١١٢ .
 - (٧٩) المالكي : شفاء الغرام ص ١٩٤ .
 - (٨٠) الزيلعى : المرجع السابق ص ١٢٨ .
 - (٨١) ابن كثير : البداية والنهاية ص ١٣ .
 - (٨٢) شذرات الذهب د ٣ ص ١٩٧ — ١٩٨ .

أحيانا الى أن تتحرك الأمور لسلب محتويات البيت العتيق ونهب أهالى مكة ، وأبرز مثال على ذلك انه على أثر خلاف بين الأشراف تولى امارة مكة محمد بن أبى الطيب عبد الرحمن القاسم فى عام ٤٥٣هـ ، ولم يحسن آل الطيب السيرة فأشاعوا السلب والنهب فى مكة ، وتجاوزوا ذلك الى أخذ ميزاب الكعبة وتعريتها من الكسوة كما نهبوا حلية البيت الحرام ، وفر بعضهم بها الى اليمن •

ونظرا للظروف المحيطة بكل من العباسيين والفاطميين والنزاعات بينهما لم يكن فى وسعهما التدخل لاقرار الأمور فى مكة لذلك طلب الخليفة المستنصر الفاطمى من محمد بن محمد الصليحي حاكم اليمن التدخل فى الأمر ، واقرار الأمور فى مكة المكرمة خشية أن تؤدى تلك الفوضى الى خروج نفوذهم منها (٨٣) •

فغادر الصليحي اليمن متوجها الى مكة ، ووصلها فى السادس من ذى الحجة ٤٥٥هـ وانتزع أمورها من آل الطيب ، وأجبرهم على الخروج منها كما قام بتأديب القبائل التى كانت تعتدى على الحجاج وأمن الحج ، ورد ما أخذه بنو الطيب

من محتويات الكعبة وحليها فطابت قلوب الناس واستقرت
الأمر ، وسارت في طريقها الصحيح^(٨٤) .

ثالثا : العدوان على الحرمين الشريفين في التصرين الأيوبي والملوكي :

١ - في عام ٥٥٧ هـ وقع حادث جلل خطط له أعداء
الاسلام وكان الهدف منه اخراج الجسد الشريف لسيد
الخلق أجمعين ونقله الى بلاد النصارى وبفاصيل ذلك هو أن
السلطان نور الدين محمود بن زنكى رأى في منامه رؤيا حالتها
وهي أنه رأى الرسول صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات في ليلة
واحدة وهو يقول له انجذنى انقذنى من هذين الرجلين ،
وأشار اليهما فرآهما رجلين أشقرين تجاهه^(٨٥) ، فاستيقظ
السلطان وأحضر وزيره وذكر له ذلك فقال له ان هناك أمر قد
حدث في المدينة ولن يواجهه أحد غيرك ، فتنهز السلطان
وخرج على عجل ومعه ألف راحلة وما يتبعها من
استعدادات^(٨٦) وأسرع الى المدينة فى غفلة من أهلها والوزير

-
- (٨٤) الزيلعى : المرجع السابق ص ٦٦ .
• (٨٥) محمد بريم الخامس التونسى : صفة الاعتبار بمستودع
الأمصار والأقطار ج ٤ المجلد الثانى ص ١٤٥ .
• (٨٦) حمد الجاسر : رسائل فى تاريخ المدينة ، الرياض ،
دار اليمامة ١٣٩٢ هـ / ١٩٧٢ م ص ٢٧ .

معه فزار وجلس فى المسجد ثم أمر باحضار أهل المدينة وصار يتصدق عليهم ويتأمل فى الصفة التى رآها فى منامه ، ولما علم أن أهل المدينة حضروا اليه جميعا ولم يتأخر عن الحضور سوى رجلين من أهل الأندلس سأل عن منزلهما فأخبر أنهما نازلان فى ناحية بالقرب من الحجرة الشريفة فمضى الى المنزل ليفتشه ، فلم يجد به سوى خيمتين ومالا كثيرا^(٨٧) ، ولما سأل الرجلين عن أسباب بقائهم فى هذا المكان قالوا لجاورة النبى صلى الله عليه وسلم ولكنه لم يصدقهما وأصر على أن يقولوا الصدق ، والا تعرضا للعقاب فأقرا أنهما من النصرارى وانهما وصلا لكى ينقلا النبى صلى الله عليه وسلم من حجرته الشريفة باتفاق من ملوكهم^(٨٨) ، فرفع السلطان حصيرا فى البيت فوجد تحته سردابا ذاهبا صوب الحجرة الشريفة فارتاعت الناس^(٨٩) وضرب السلطان أعناقهما ثم أحرقا بالنار^(٩٠) .

وهكذا دبر النصرارى المكيدة للمسلمين فحاولوا نقل نبى الاسلام اليهم والتشفى منهم ، وابطال معجزة تعيين محله

-
- (٨٧) التونسى : المرجع السابق ، ص ١٤٦ .
 - (٨٨) الجاسر : المرجع السابق ص ١٢٨ .
 - (٨٩) التونسى : المرجع السابق ص ١٤٦ .
 - (٩٠) الجاسر : المرجع السابق ص ١٢٩ .

صلى الله عليه وسلم دون غيره من الأنبياء جميعاً عليهم السلام .

٢ — اقدام ارناط صاحب الكرك على مشروع خطير فى عام ٥٧٨هـ استهدف به طعن الاسلام فى قلبه بغزو الحرمين وتفاصيل ذلك انه بعد ائستداد هجمات صلاح الدين على مملحة بيت المقدس ، وتمكنه من الاستيلاء على بعض المعاقل الصليبية لجأ الأمير ارناط الصليبي الى تهديد الحرمين الشريفين فى الحجاز فبدأ فكرته بالاستيلاء على أيله وهو الميناء الهام على رأس خليج العقبة ثم لجأ ارناط فى بناء عده سفن حملت أجزاءها مفككة الى خليج العقبة حيث ركبت وشحنها بالمقاتلين ، واتجه على رأسها لمهاجمة الموانئ الاسلامية فى البحر الأحمر (٩١) .

ولم يكتف ارناط بالعدوان على الموانئ المصرية مثل عيذاب بل نقل نشاطه الى شاطئ الحجاز حتى أن الصليبين أضحوا على مسيرة يوم واحد من المدينة المنورة .

ومن الواضح أن العدوان على الحرمين أمر لا يمكن أن يغفره أو يسكت عنه المسلمون ، فاسرع العادى — أخو صلاح

(٩١) للتفاصيل انظر ابن الأثير : الكامل فى التاريخ حو'ادث سنة ٥٧٨ هـ .

الدين — الى ارسال اسطول قوى فى البحر الأحمر نجح فى تدمير السفن الصليبية وأسر كثير من رجالها فى حين فر أرناط نفسه بصعوبة • أما صلاح الدين فقد رد عدوان أرناط بحصار حصن الكرك فى أواخر سنة ١١٨٣ م ثم سنة ١١٨٤ / ٥٧٩ / ٥٨٠ هـ وان كان لم يستطع الاستيلاء عليه لقوة تحصينه (٩٢) •

٣ — نتيجة لتدهور أمور أشرف مكة فى عام ٦١٣ هـ واحتدام الخلافات بينهم جمع الشريفان أبو نمى وأدریس جمعا كبيرا وقصدوا مكة وحاصروا الأمير مبارز الدين بن برطاس حصارا شديدا ، ودخلوا عليه مكة من رؤوس الجبال وهزموه وقتلوا جماعة من أصحابه ، وسفكت الدماء بالمسجد الحرام ، وامتلا الناس رعبا (٩٣) •

٤ — تتابعت الحوادث الفردية العدوانية على الحرمين الشريفين بعد ذلك وعلى سبيل المثال نذكر فى الرابع عشر من ذى الحجة ٥٧٣٠ هـ وقعت فتنة بين أهالى مكة وأمير الحج المصرى وأتباعه ، واحتدم النزاع داخل المسجد الحرام

(٩٢) للتفاصيل انظر : سعيد عاشور : الأيوبيون والمماليك فى مصر والشام ص ٦٣ — ٦٤ والحركة الصليبية د ٢ ص ٦١٧ — ٦٢٠ •

(٩٣) عمر بن مهدي : اتحاف الورى ص ٧٧ •

وقت صلاة الجمعة والخطيب يخطب على المنبر ، وانتهى بمقتل أمير الحج المصرى ومجموعة من المتقاتلين ، كما مات بعض الحجاج على أبواب المسجد الحرام عندما تراحم الناس وهم خارجون فرارا مما حدث (٩٤) .

وفى عام ٧٤٣ وقعت فتنة بعرفة بين أشرف مكة والأتراك وانتهى الأمر بأن شهرت السيوف واحتدم القتال بينهما وقتل من الترك نحو ستة عشر رجلا ومن الأشراف أقل من ذلك (٩٥) ، وبعد الوقوف بعرفة توجه المتقاتلين الى مكة وتحصنوا بها مما أدى الى فرار الحجيج ودخول معظمهم الى المسجد الحرام للاحتباء به وتركوا المبيت بمزدلفة ومنى وبذلك لم يتم لمعظم الحجيج مناسكهم (٩٦) .

وفى سنة ٥٧٤٤ وقعت فتنة أيضا بين أمير الحج التركى وأهل مكة قبل الصعود الى عرفات قتل فيها جماعة من الفريقين فى أطراف المسجد الحرام وخارج أبوابه (٩٧) .

وفى عام ٥٧٦١ وقعت فتنة بين الأتراك يساعدهم

(٩٤) وتموت الفتنة ص ٣٨ .

(٩٥) دحلان : المرجع السابق ص ٣١ .

(٩٦) وتموت الفتنة ص ٣٨ .

(٩٧) وتموت الفتنة ص ٣٩ .

جنود من مصر وبين الأشراف عرفت بفتنة « قنـدس » (٩٨) وفيها تقاتل الفريقان قتالا شديدا في كل أنحاء مكة ، واعتصم بعض الناس بالمسجد الحرام الذى أغلقت أبوابه ، وقتل العديد من الفريقين ، واستطاع الأشراف أسر الكثيرين من الترك ، وارسلوهم الى ينبع ، وصاروا يبيعونهم وينادى عليهم الدالون كالعبيد (٩٩) .

فى عام ٨١٧ هـ وقعت احدى الحوادث التى انتهكت فيها حرمة المسجد الحرام والتى عرفت بفتنة الجراد (١٠٠) ، ففى الخامس من ذى الحجة فى ذلك العام أراد أمير الحج المصرى جقمق المؤيدى (١٠١) تأديب أحد غلمانه لحملة السلاح وهو معتمر ، فسجنه لديه فما كان من مواليه الا أن فزعوا لاطلاق سراح زميلهم (١٠٢) وقاموا بحركة تمرد هاجموا خلالها المسجد الحرام من باب ابراهيم وهم راكبون خيولهم والناس فى صلاة الجمعة (١٠٣) فهاجمهم أنصار الأمير جقمق واقتتلوا

(٩٨) محمد بن فهد : اتحاف الورى ص ٥١٦ ..

(٩٩) دحلان : المرجع السابق ص ٣٣ .

(١٠٠) وتموت الفتنة ص ٤٠ .

(١٠١) محمد بن فهد اتحاف الورى : ص ٥١٦ ..

(١٠٢) وتموت الفتنة ص ٤٠ .

(١٠٣) السباعى : تاريخ مكة ص ٢٩٥ .

اقتتالا شديدا ، وقتل العديد من الطرفين داخل الحرم ، واستمر القتال بينهما وخلال ذلك أمر أمير الحج المصرى بإغلاق أبواب المسجد الحرام كلها وتسميرها الا باب بنى شيبه - وكان يومئذ بابا يمكن غلقه باحكام - والباب الذى عند المدرسة الجاهدية فسمرت^(١٠٤) ثم أدخل جميع خيوله الى المسجد الحرام وتركها فى الرواق الشرقى حتى تلوثت أرضيات المسجد بروث الخيل وبدماء القتلى^(١٠٥) ونظرا لتأزم الأمر واستمرار الانتهاكات لحرمة البيت الحرام . وكرامة المسلمين رأى الشريف حسن أمير مكة الاجتماع بكبار الحجاج والتشاور فى الأمر ، ثم اتفقوا على نذب شخص يتصل بأمير الحج المصرى ليبلغه استياء الحجيج مما حدث ، وضرورة تسوية الأمر واجلاء الخيول عن الحرم ، وانتهى الأمر بقبول الوساطة^(١٠٦) .

٧ - وعن الانتهاكات لحرمة المسجد النبوى فى القرنين التاسع والعاشر الهجرى فقد توالى هذه الانتهاكات للمسجد النبوى من أمراء المدينة فعندما تنازع عجلان بن نعيم مع جماز بن هبه جماز على امارة المدينة المنورة ، ودخل جماز المسجد

(١٠٤) دحلان : المرجع السابق ص ٣٨ .

(١٠٥) وتموت الفتنة ص ٤٠ .

(١٠٦) السباعى : المرجع السابق ص ٢٩٥ .

النَّبوى^(١٠٧) وأخذ ستارتى الحجرة النبوية ، وأخذ جميع ما فى القبة من حاصل الحرم الشريف ، كما استولى على قناديل الذهب والفضة الموجودة بالمسجد ثم ارتحل هاربا .
وقد أدت هذه الحادثة الى تعطيل الأذان والاقامة والجماعة بالمسجد^(١٠٨) .

وقد أعقب هذه الحادثة المشينة قيام أمير المدينة المنورة حسن بن زبيرى من آل نعيير فى عام ٩٠١هـ باقتحام مسجد رسول الله والاستيلاء على نفائسه بحجة فقره الشديد ، وضيق ذات يده وتفاصيل ذلك هو أنه بعد أن خلا المسجد من المسلمين فى وقت الضحى جاء هذا الأمير فى مجموعة كبيرة من أعوانه متسلحين ودخل المسجد وأمر باخراج من فيه ونقل أبوابه وطلب من الخازندار « ايدى الرومى » مفتاح القبة النبوية فلما رفض أمر بضربه حتى أغمى عليه ، وأخذ المفتاح واستولى على جميع ما فى القبة من نقود وقناديل ، كما استولى على العديد من نفائس الحرم ، وخرج شاهرا سيفه^(١٠٩) .

(١٠٧) لم نتعرف على تاريخ هذه الحادثة بالتحديد ، ولكننا نعرف أن حجاز قتل فى عام ٨١٢هـ كما ذكر الحافظ بن حجر .
انظر الجاسر : المرجع السابق ص ١٩٠ .
(١٠٨) نفس المرجع ص ١٨٩ .
(١٠٩) الجاسر : المرجع السابق ص ١٨٣ — ١٨٤ .

وقد أدى ذلك الى تعطيل صلاة الظهر يومئذ في المسجد
وحدوث قلق كبير ، وتذمر شديد بين الناس أغلق خلاله أبواب
المسجد النبوي ثلاثة أيام^(١١٠) .

وهكذا يتضح مدى ما تعرض له الحرمان الشريفان من
اعتداءات منكرة في العصر الاسلامي قام بها أعداء الاسلام
من الخارجين عليه والنصارى والمارقين ومع كل ذلك لم تتحقق
أغراضهم في النيل من كرامة البيت العتيق ومسجد سيد
المرسلين خصوصا وأن هؤلاء كانوا في حرب مع الله ورسوله ،
وكل حرب من هذا النوع تكون خاسرة ، ويمكرون ويمكر
الله ، والله خير الماكرين .

(١١٠) انظر الجاسر : المرجع السابق ص ١٩١ — ١٩٤ .